

روح المعاني

تركتموهم أرجعوا فأستأصلوا فقتلوا في قلوبهم الرعب فأنهزموا فلقوا أعرابيا فجعلوا له جعلا فقالوا له إن لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأخبرهم بما قد جمعنا لهم فأخبر الله تعالى رسوله فطلبهم حتى بلغ حمراء الأسد فأنزل الله تعالى في ذلك هذه الآية يذكر فيها أمر أبي سفيان وأصحابه وقيل : إن الآية نزلت في يوم الأحزاب وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : نصرت بالرعب عل بالعدو وأخرج أحمد وغيره من حديث أبي أمامة نصرت بالرعب مسيرة شهر يقدف في قلوب أعدائي وقرىء سيلقي بالياء وقرأ أبو جعفر وابن عامر والكسائي الرعب بضم العين وهي لغة فيه وقيل : الضم هو الأصل والسكون للتخفيف وقيل : الأصل السكون والضم للإتباع .

بما أشركوا بالله أي بسبب إشراكهم بالذات الواجب الوجود المستجمع لجميع صفات الكمال ولإشعار هذا الأسم بالعظمة المنافية للشركة أتى به والجار الأول متعلق بـ سنلقي دون الرعب ولا يمنع من ذلك تعلق في به لإختلاف المعنى والثاني متعلق بما عنده وكان الإشراك سببا لإلقاء الرعب لأنه من موجبات خذلانهم ونصر المؤمنين عليهم وكلاهما من دواعي الرعب ما لم ينزل به أي بإشراكه وقيل : بعبادته و ما نكرة موصوفة أو موصولة أسمية وليست مصدرية سلطانا أي حجة والإتيان بها للإشارة بأن المتبع في باب التوحيد هو البرهان السماوي دون الآراء والأهواء الباطلة وسميت بذلك لأنه بها يتقوى على الخصم ويتسلط عليه والنون زائدة وقيل : أصلية وذكر عدم إنزال الحجة مع إستحالة تحققها من باب إنتفاء المقيد لإنتفاء قيده اللازم أي لا حجة حتى ينزلها فهو على حد قوله في وصف مفازة : لا يفزع الأرنب أهوالها ولا ترى الضب بها ينجر إذ المراد لا ضب بها حتى ينجر فالمراد نفيهما جميعا وهذا كقولهم : السالبة لا تقتضي وجود الموضوع وما ذكرنا من إستحالة تحقق الحجة على الإشراك يكاد يكون معلوما من الدين بالضرورة أما في الإشراك بالربوبية فظاهر إذ كيف يأمر الله سبحانه بإعتقاد أن خالق العالم إثنان مشتركان في وجوب الوجود والإتصاف بكل كمال وأما الإشراك في الألوهية الذي عليه أكثر المشركين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأنه يفضي إلى الأمر بإعتقاد أشياء خلاف الواقع مما كان المشركون يعتقدونه في أصنامهم وقد رده عليهم فقول عصام الملة : ونحن نقول الحجة على الإشراك تحت قدرته تعالى لو شاء أنزلها إذ لو أمر بإشراك الأصنام به في العبادة لوجب العبادة لا أراه إلا حلا لعصام الدين لا إله إلا الله المخاطب بها الثنوية والوثنية تأبى إمكان ذلك كما لا يخفى على من أطلع على معنى هذه الكلمة الطيبة رزقنا الله تعالى الموت عليها ولا جعلنا ممن أشركوا بالله تعالى ما لم ينزل

به سلطانا ومأواهم أي ما يأوون إليه في الآخرة النار لا مأوى لهم غيرها .
وبئس مثنوى الظالمين 151 أي مثنواهم وإنما وضع الظاهر موضع الضمير للتغليظ والتعليل
والإشعار بأنهم في إشراكهم طالمون واضعون للشيء في غير موضعه والمثنوى مكان الإقامة على
وزن مفعول من ثويت ولامه ياؤا المخصوص بالذم محذوف أي ببئس مثنواهم النار ولم يعبر بالمأوى
للإيذان بالخلود إذ الإقامة مأخوذة في المثنوى دونه ولقد صدقكم الله وعده أخرج الواحدي عن
محمد بن كعب قال : لما رجع رسول الله ﷺ